

## التوبة.. تصميم على اجتناب الذنوب والمعاصي



ـ إنـ" أـفـضل طـرـيق لـلـتـزـكـيـة هـو عـدـم التـلـوـث بـالـمـعـصـيـة مـن أـسـاسـ، يـقـول الإـمـام عـلـي (عـ) : " تركـ الذـنـب أـهـون مـن طـلـب التـوـبـة " .

لكنـ لو فـرـضـنا أـنـ" الإـنـسـان أـبـتـلـي بـالـمـعـصـيـة، فـيـجـبـ أـلـا يـبـأـسـ من رـحـمـة إـلـهـ تـعـالـى، لـأـرـهـ قـد فـتـحـ لـعـبـادـ بـابـ التـوـبـةـ. فـالـتـوـبـةـ: هيـ مـنـ الـمـهـذـبـاتـ لـلـنـفـسـ، وـهـيـ الـوـسـيـلـةـ لـغـلـسـ النـفـسـ مـنـ قـدـارـاتـ الذـنـبـ، وـهـيـ عـبـارـةـ عـنـ التـصـمـيمـ عـلـىـ اـجـتـنـابـ الذـنـبـ وـالـمـعـاصـيـ، وـالـنـدـمـ عـلـيـهاـ مـعـ الـحـذـرـ الشـدـيدـ مـنـ الشـيـطـانـ وـإـغـرـاءـاتـهـ، الـذـيـ يـدـعـونـاـ باـسـتـمـارـ لـلـاستـهـانـةـ بـالـمـحرـمـاتـ وـالـمـعـاصـيـ وـالـعـوـدـةـ إـلـيـهاـ، وـقـد شـجـعـ عـلـىـ إـلـسـامـ عـلـىـ التـوـبـةـ، وـحـذـرـ مـنـ الـيـأسـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ: (قـُلـْ يـا عـبـادـيـ إـلـلـهـ ذـرـنـ أـسـرـفـوا عـلـىـ أـرـفـسـهـمـ لـا تـقـنـطـمـطـوـوا مـنـ رـحـمـةـ اللـهـ إـنـ الـلـهـ يـغـفـرـ الذـنـوبـ جـمـيعـاـ إـنـهـ هـوـ الـغـافـورـ الرـحـيمـ) (الـزـمـرـ/53ـ).

### 1- فـلـسـفـةـ التـوـبـةـ:

ـ إنـ" الـذـيـ عـصـىـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ وـتـحدـيـ إـرـادـةـ إـلـهـ سـبـحـانـهـ، يـكـوـنـ قـدـ إـبـتـدـعـ عـنـ مـقـامـ إـلـهـانـيـةـ وـاقـتـرـبـ مـنـ مـقـامـ الـحـيـوانـيـةـ، وـعـنـدـئـذـ يـحـرـمـ هـذـاـ إـلـهـانـ مـنـ بـرـكـاتـ الـقـرـبـ مـنـ إـلـهـ فـيـ الجـنـةـ، وـلـاـ يـبـقـيـ أـمـامـهـ سـوـىـ التـوـبـةـ وـالـسـتـغـفـارـ، وـالـذـيـ أـمـرـ بـالـتـوـبـةـ هـوـ الـذـيـ يـقـبـلـ التـوـبـةـ، يـقـولـ تـعـالـىـ: (وـهـوـ إـلـلـهـ يـقـبـلـ التـوـبـةـ عـنـ عـبـادـهـ وـيـعـفـوـ عـنـ السـيـئـاتـ وـيـعـلـمـ مـاـ تـفـعـلـونـ) (الـشـورـيـ/25ـ).

## 2- حقيقة التوبة وشروطها :

إنَّ الندم على الذنب هو توبه، لكن المقصود هو الندم الحقيقى، الذى يكون له آثاره ونتائجها على المستوى العملىٌّ، قد يتصوَّر البعض أنَّ مجرَّد قوله: "تبَتْ إِلَى اللهِ" يكفى لتحقِّق التوبة، وهو غير صحيح لأنَّ التوبة لها شروط لا تتحقَّق إِلَّا بها وهي:

1- أن يشعر بالنفور من ذنبه وتغلُّبه الحسرة عليه.

2- أن يضمِّم على عدم العودة إلى الذنب مجدَّداً.

3- أن يسعى لجبران ما أمكن جبرانه، كأنه يؤدِّي حقَّه أحد من الناس كان قد غصبه حقَّه أو أن يطلب المسامحة ممَّن استغابه، أو أن يُرضي من ظلمه، أو أن يقضى ما فاته من فرائض وواجبات، كالصلة والصوم، وهكذا ..

يقول الإمام عليٌّ (ع) بعد أن سمع رجلاً يقول استغفر الله: "شكلك أمُّك، أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان، أولها: الندم على ما مضى؛ والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً؛ والثالث: أن تؤدِّي إلى المخلوقين حقَّهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعه؛ والرابع: أن تعمد إلى كلٍّ فريضة عليك ضيَّعتها فتؤدِّي حقَّها؛ والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم وينشاً بينهما لحم جديد؛ والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله".

## 3- ضرورة التوبة :

إذا كنَّا ندرك تلك الآثار الخطيرة للذنوب في الدنيا والآخرة، كأن تنزل النقم وتحبس النعم وتنبع الرزق وتجرَّنا إلى العذاب الأليم، فإنَّ العاقل المؤمن بالمعاد وبربِّ العباد، لا بدَّ أن يبادر إلى إعلان توبته، وتطهير نفسه حتى لا يكون محروماً في الدنيا وشقياً في الآخرة، وإنَّ التوبة من الذنوب تؤدِّي إلى تطهير القلوب.

عن أبي جعفر (ع): "ما من عبدٍ إِلَّا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله: (كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَالَمَ قُلُوبَهُمْ مَا كَانُوا يَكُونُونَ) (المطففين/ 14)".

## 4- الأمور التي يجب التوبة منها :

يجب على الإنسان أن يتوب من كلٍّ ما يحول بينه وبين السير والسلوك إلى الله تعالى، يجعله متعلقاً بالدنيا، ويمكن تقسيم الذنوب التي يجب أن تنتوب عنها إلى قسمين: أخلاقية وعملية:

أ- الذنوب الأخلاقية: والمراد بها الأخلاق السيئة والصفات القبيحة، التي تلوث النفس وتجعل الحجب بينها وبين الله تعالى، كالرياء، والنفاق، والغصب والتكبر، والعجب، والمكر، والخداع،

والغيبة، والبهتان، والكذب، وخلف الوعد، وعقوق الوالدين، وقطع الرحم، والتبذير، والإسراف، والحسد، والفحش، والسباب وسوء الطّنّ، وتتبدّل عيوب الناس، واحتقار المؤمن وإذلاله، وغير ذلك من الصفات السيئة.

بـ- الذنوب العملية: وهي كلّ الذنوب التي ترتبط بالأعمال كالسرقة، وقتل النفس، والزنا، ودفع الربا وأخذها، وعصب أموال الناس، والغشّ في المعاملة، والفرار من الجهاد، وخيانة الأمانة، وشرب الخمر، وترك الصلاة والمصيام والحجّ والخمس، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الطعام النجس وغير ذلك من المحرّمات.

## 5- ثمار التوبة:

للتوبة ثمار جليلة في الدنيا وفي الآخرة أهمّها:

أـ- تكفير السيّئات ودخول الجنة: إنّ التوبة تؤدي إلى إزالة سيّئات الإنسان من صحيفته أعماله، يقول تعالى: (يَمَّا أَيْسَرْهَا إِلَّا ذَنَبٌ آمَنُوا تُوبُوا إِلَّا اللَّهُمَّ تَوَبْهَ نَصْرُوكَمْ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَذْنَكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ الْأَنْهَارِ) (التحريم/ 8).

بـ- محبّة الله: إنّ التائب الحقيقى سوف يحصل على محبّة الله تعالى وينال رضاه، يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْاْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة/ 222).

ثـ- الستر: إنّ توبة العبد تؤدي إلى الستر عليه، فبأبيتي يوم القيمة لا يُدرى بذنبه، يقول الإمام الصادق (ع): "إذا تاب العبد توبه نصوحًا أحبّه الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحى الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنبه، فيلقيه الله عزّ وجلّ حين يلقاءه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنب".

## - الخلاصة:

- 1- أفضل سبيل للتركيبة عدم المعمصية.
- 2- فلسفة التوبة أزّها تفتح باباً للرحمة والقرب من الله.
- 3- حقيقة التوبة الندم الذي يستلزم ترك الذنب وتأدية الحقوق.
- 4- من يدرك خطورة الذنب لابدّ أن يقدم على التوبة.
- 5- ما يجب التوبة منه ليس فقط الذنوب العملية كالسرقة وقتل النفس والزنا. بل أيضاً الذنوب الأخلاقية والرياء والنفاق والغصب.

6- للتوبيه ثمار كثيرة، منها تكفير السيديات وتبديلها إلى حسنات ومحبّة الله والستر ..

المصدر: كتاب دروس في تزكية النفس (سلسلة المعارف الإسلامية)